

أحاديث رمضان ١٤٣١ - أمثل القرآن الكريم - الدرس (٣٤-١٨) : قال تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٠-٠٨-٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صاحبته الغر الميامين؛ أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عننا وعنهم يا رب العالمين.

الله سبحانه وتعالى أودع في البشر حب المال:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في آيات الأمثال، والآية اليوم:
﴿مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثْلُ حَبَّةٍ أَبْتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٦١]

أيها الأخوة الكرام، الله سبحانه وتعالى

أودع في البشر حب المال:

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمَّا﴾

[سورة الفجر الآية: ٢٠]

وما أودع الله في الناس حب المال إلا

ليرتقوا بإنفاق المال إلى أعلى درجات

الجنة؛ لأن الإنسان يتقرب إلى الله عز

الله سبحانه وتعالى أودع في البشر حب المال



وجل بإنفاق شيء يحبه، فإن لم يكن

يحبه لا يعد هذا الشيء سبباً لارتفاعه

الإنسان إلى الله، وأن الله أودع فينا حب المال:

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمَّا﴾

[سورة الفجر الآية: ٢٠]

أولاً: هذا المال مادة الشهوات، قوام الحياة، قيام حياة الإنسان بالمال، فإذا أنفق منه شيئاً، ينفق

شيئاً من أسباب وجوده، من أسباب مقومات حياته؛ فكلما كان الشيء لصيقاً بوجود الإنسان،

ولصيقاً بحاجاته، كان إنفاقه سبباً لرقي الإنسان إلى الله.

الإنفاق بالمعنى الواسع:



المؤمن وصفه الله في القرآن الكريم في
أول آية في سورة البقرة:

﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الْكِتَابُ لَرَبِّ الْعَالَمِينَ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ١-٣]

الإنفاق بالمعنى الواسع أن تتفق أي إنفاق الوقت بما يرضي الله تعالى من أشكال الإنفاق
شيء منحك الله إياه، وهذا المعنى واسع

جداً، فقد يمنح الله عبد مكانة في المجتمع، هذه المكانة يمكن أن تتفق منها، إذا كان هناك إنسان ضعيف، مظلوم، وتتوسطت أنت عند من ظلمه، والذي ظلمه يهابك، ولك مكانة عنده، أنت أنت أتفق جاهك في سبيل الله، والذي يملك منصباً رفيعاً، بمجرد قلم يحق حقاً ويبطل باطلًا. فإذا استخدم هذه السلطة التي منحه الله إياها؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وخدمة الضعيف والمظلوم، يرقى بهذا المنصب عند الله.

أولاً: الإنفاق واسع جداً؛ يمكن أن تتفق من وقتك، يمكن أن تتفق من خبرتك.

إنفاق المال شيء مهم جداً لأن المال مادة كل الحاجات:

أنا أذكر أن عدداً ليس بالقليل من أطباء
كبار، من هذا البلد الطيب، كلهم يحمل
أعلى الشهادات من العالم الغربي،
اجتمعوا والله في هذا المسجد، واتفقوا
أن يقوم كل واحد منهم برحلة إلى
المحافظات، ويجمع الأطباء الذين هم
من اختصاصه، ولم يتح لهم السفر إلى
الغرب للدراسة، يعطونهم كل خبراتهم،
هذا عمل عظيم. الطبيب المؤمن يقدم



إنفاق العلم والخبرة شكل من أشكال الإنفاق

خبراته، والمعلومات الدقيقة التي بحوزته إلى كل من حوله.

أي ممكِن أن تتفق من علمك، من وقتك، من جاهك، من مالك، لكن حينما تأتي كلمة الإنفاق في القرآن الكريم فيظن الناس بلا تردد أنه إنفاق المال، والحقيقة إنفاق المال شيء مهم جداً، لأن المال مادة كل الحاجات.

أحياناً تجتهد أنت، ترسل لهذا الفقير طعاماً، قد يكون عنده هذا الطعام، حاجة إلى مال، ليشتري الشياط.

بالم المناسبة المنفق لزكاة ماله في رمضان ينبغي أن ينفق مالاً، أو عيناً، بحسب مصلحة الفقير؛ فالفقير الذي لا يحسن تدبير أمره نعطيه حاجاته على العيد، أما الإنسان المتمكن الحكيم فنعطيه المال.

على كلّ أحياناً يكون القيمة على الأسرة سفيهاً، الحل الأمثل لهذه الأسرة الفقيرة أن نعطيها الطعام والشراب، هذا الطعام والشراب يصل في النهاية إلى بطون هذه الأسرة الجائعة.

وسائل الإنفاق لا تعد ولا تحصى:

إذاً الآية الكريمة:

﴿مَثُلُّ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٦١]

وكلمة أموالهم جاءت جمعاً، لأن كل أنواع الأموال قابلة للإنفاق. مثلاً: أنت عندك بيت زائد، لست بحاجة إليه، وهناك طلب علم أجانب، مضطرون للسكنى في بيت، وأجرتهم هذا البيت، بأجر معقول أو رخيص، أنت شريكهم في الأجر، تأجير البيت لطالب علم بسعر معقول يطيقه هذا الإنفاق.

أحياناً تخفيض السعر في البيع والشراء، قد يأتي مثلاً إنسان فقير جداً، لكنه مؤمن، وكرامته في أعلى مستوى، هذا الإنسان لا يقبل أن يأخذ منك صدقة.



والله حدثي أخ تاجر أقمصة-، قال لي: أحياناً يأتي إنسان فقير جداً، يعلم حاله تماماً، وعنه قائمة مشتريات من الأقمصة على العيد، قال لي: أنا أبيعه القماش بسعر مخفض جداً، دون أن يشعر، هو لم يشعر اشتري ودفع ثمن البضاعة، قال لي: والله أخذت نصف الثمن، هو حافظ على كرامته بأعلى مستوى، وأخذ ثمن البضاعة، لكنه قدم

له نصف الثمن هدية، دون أن يشعر، لكن الله يعلم، وسائل الإنفاق لا تعد ولا تحصى. مرة أخ كريم عنده فتاة حافظة لكتاب الله، آلمه كثيراً أنه كلما جاء خاطب لا يعود مرة ثانية، وهو حريص على ترويجها، قال لي - هو تاجر أبنية-: كتب لها بيتاً صغيراً، مع هذا البيت صار طريق الزواج سهلاً جداً، فانتبه إلى نقطة كم بنت حافظة لكتاب الله، مستقيمة، محجبة، لكن تأخر زواجه؟ فأنشأ بناء - عبارة عن بيوت صغيرة- وكتب: هذه الأبنية لفتيات مؤمنات، طاهرات، حافظات لكتاب الله، فسبحان الله! بعد حين أخبرني أن كل هؤلاء الفتيات تزوجن، صار هناك عرض خاص، لأن أبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى.

وهناك إنسان حديثي: أنشأ بناءين كبيرين، في البناء عشرون بيتاً، البيت مساحته تقدر بستين متراً، قال لي: أنا أؤجر هذه البيوت بمبلغ يقدر بألفي ليرة فقط في الشهر لطلاب العلم، طالب علم متزوج، لا يوجد عنده بيت، طبعاً الأجرة من عشرين لعشرة، عشرون بدمشق في الشهر، وبالريف عشرة آلاف، هو احتسب ثمانية عند الله، احتسبها صدقة، أي أبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى.

أنت حينما تفك أن تقرب إلى الله بخدمة عباده، فأنت مؤمن ورب الكعبة. أحياناً من الإنفاق الجديد: طالب متوفق جداً، لكنه فقير، هذا يجب أن يدرس على حساب المحسنين، فالمحسن يرسل طالباً يعود بعد خمس سنوات عالماً نفع الأمة، إنفاق المال على طلاب العلم المنقوصين في الدراسات العليا، هذا من أفضل أنواع الإنفاق، أنت هيأت للأمة علماء، اختاروهم طبعاً من المؤمنين، المستقيمين، من ذوي الاتجاه الإسلامي القوي.

حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح:

العبرة أن أبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى؛ لكن ينبغي أن أوضح: إن الإنسان حينما يستقيم، يحقق السلامه فقط؛ مالك حلال، أنت لست معرضاً لإتلاف المال، اخترت زوجة صالحة، لست معرضاً للشقاء الزوجي، ربيت أولادك تربية صالحة، لست معرضاً لعقود الأولاد، فالاستقامة تحقق السلامه، لكن الرقي إلى الله يحتاج إلى



عطاء، إلى بذل، لذلك حجمك عند الله بحجم عملك الصالح.

أحياناً الإنسان تستهلكه الحياة؛ استيقظنا في غير رمضان، تناولنا طعام الإفطار، ذهبنا إلى العمل، عدنا الساعة الثانية ظهراً، تناولنا طعام الغداء، نمنا بعد الظهر قليلاً، عندنا مساء سهرة حضرناها، يوماً، تلو يوم، تلو يوم، يمضي العمر، وفجأة يفاجأ الإنسان أن أجله قد اقترب، الحياة يمكن أن تستهلك الناس جميعاً، لكن صدقوا ولا يبالغ المؤمن في ذهنه هدف كبير أن يتقرب إلى الله بالعمل الصالح، لذلك الإنسان حينما يستيقظ يتساءل: ماذا أعمل هذا اليوم عملاً صالحاً أقرب به إلى الله؟

((من أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأنته الدنيا وهي راغمة))

[الترمذى عن أنس]

المؤمن ينفق المال للتقارب إلى الله عز وجل:

لذلك ورد في الأثر:
 ((أن أوحى ربك إلى الدنيا أنه من خدمي فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه))



والله هناك قصص فيها مأس، أي عاش حياة ملؤها التقشف، وكان يخزن هذا المال، بعد حين جاء أجله، وقد ترك ثروة طائلة، حرم نفسه منها في حياته، ليأخذها الورثة، وينفقونها على شهواتهم، أحياناً هناك حرق شديد بالإنسان.

لذلك: المؤمن عنده حكمة بالغة في إنفاق المال؛ ينفق المال لتحقيق حاجاته الأساسية، وينفق المال للتقارب إلى ربه.

ولا يوجد كلمة أروع من تلك الكلمة التي قالها صاحبى جليل، قال: "هذا المال أصون به عرضي، وأنقرب به إلى ربي".

وكان هذا الصاحبى الجليل قد حدد هدفين أساسيين للمال؛ (أصون به عرضي) أي عندك أولاد، إن اشتريت لهم حاجاتهم، ربطتهم بك، عندك بنت تزوجت، أعطيتها بعض المال، اقتربت منك. "هذا المال أصون به عرضي، وأنقرب به إلى ربي".

عد هذا القول منهجاً لإنفاق المال؛ إما أن تصون عرضك، أو أن تتقارب إلى ربك.

الآية التالية أصل في إنفاق المال:

لذلك الآية الكريمة:

﴿مَثُلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثُلَ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٦١]

سبعة بمئة:

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٦١]

قد يكون سبعة بألف.

أنا أذكر مرة كنت في الغوطة، أمسكت
تقريباً حبة قمح، أنبتت خمساً وثلاثين
سبلة، عدلت حبات سبلة واحدة، إذا
هي خمسون حبة، خمسون ضرب
خمس و ثلاثين كان الناتج ألفاً و
سبعينية و خمسين حبة؛ أحياناً الكيس
يعطى عشرة أكياس، أحياناً يعطي
خمسين كيساً، فالله عز وجل:

﴿يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٦١]



الآية التي تعد الأصل في إنفاق المال

﴿كَمَثُلَ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٦١]

لكن قد يكون ألفاً:

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٦١]

هذه الآية أيها الأخوة أصل في إنفاق المال، أيها المنفق اعتقد يقيناً أن كل شيء تتفقه الله عز وجل
يخلفه عليك، وأن كل شيء تتفقه يعلمه الله.

أي شيء ينفقه الإنسان يعلمه الله عز وجل و يضاعفه له أضعافاً مضاعفة:

مرة أب حدثي أراد أن يشجع ابنه على إنفاق المال، أعطاه مئة ليرة، قال له: أعطها لهذا الفقير،
أحب أن يدربه على الإنفاق، وقال له: الله عز وجل يعطي الإنسان إذا أنفق عشرة أضعاف، هو
طفل صغير، أعطاه مئة ليرة للفقير، قال له: أين الألف بابا؟ طول بالك، هو تصور أنه يجب أن

يأخذها فوراً، أقسم لي باشة، يمشي في الطريق مع ابنه، فالنقى بصديق له، سلم عليه، يبدو الصديق استطاف هذا الطفل؛ حمله، وقبله، وأعطاه ألف ليرة، قال لي: سبحان الله! تعلم هذا الطفل درساً لن ينساه، أنفق مئة ليرة، بعد وقت قليل جاء إنسان قدم له ألف ليرة. فاعلم يقيناً أن كل شيء تتفقه فضلاً عن التقرب إلى الله به يعلمه الله:
﴿يُضاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٦١]

والحمد لله رب العالمين